محاضرات في مستويات التحليل اللساني-السنة أولى دراسات لغوية –الدكتور بلخير ارفيس

المحاضرة الثامنة :المستوى الدلالي

أ- تعريف الدلالة :

لغة: قال ابن فارس: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة .

ويقول الجوهري :الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده .

وفي اللسان: ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه،... والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدِّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك

وفي القاموس: ودَلَّهُ عليه دَلالَةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدِّلِّيلى كخِلِّيفَى: الدَّلالَةُ أو عِلْمُ الدَّليلِ بها ورُسوخُهُ

ولقد وردت مشتقات من لفظ الدلالة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، خمسة منها مصحوبة بالقصد والإرادة وذلك كما في قوله تعالى :﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ﴾]طه: 40]، وفي قوله :﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾]القصص: 12]، وفي قوله :﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾]سبأ: 7]، وفي قوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾]الصف: 10]، وفي قوله : ﴿ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾]طه: 120[

اصطلاحا:

عرف أحدهم علم الدلالة بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى، أو دراسة المعنى"، أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"، أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"

وجعله بعضهم مرادفًا لدراسة المعنى وعرفه لاينز بأنه: "البحث في المعنى بوجه عام"

وتأتي دراسة الدلالة في الدرس اللغوي الحديث بعد دراسة مستويات اللغة الأخرى-الصوتينالصرفي،والتركيبي-وبذلك يتم سد ثغرة كبيرة في الدرس اللغوي الغارق في بداياته بقضايا الشكل والمظهر،فقد اهتم اللسانيون "بجسم وشكل الكلمات وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها. وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها فإننا نطلق عليها اسم (semantique)للدلالة على علم المعاني"

إذا فالدراسة الدلالية تعني بتلك القوانين التي تشرف على تغير المعاني ويكون بريال بذلك أول من وجه الاهتمام إلى دراسة المعاني ذاتها، لكن أهمية التفاتة بريال إلى جوهر الكلمات لم تقدر حق قدرها،

المعاني ذاتها، لكن أهمية التفاتة بريال إلى جوهر الكلمات لم تقدر حق قدرها قبل محاولة الانجليزيين أوجدن (C.K.Orgdon) وريتشاردز(I.A.Richards) اللذين أحدثا ضجة في الدراسة اللغوية بإصدار كتابهما عام 1923 تحت اسم" معنى المعنى "وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول"

وبهذا الصنيع يكون الدرس اللغوي قد انتبه إلى جانب مهم في الكشف عن اللغة ؛فـــــــ" إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثهافي اللغة، فإن الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية"

وبذلك يكون المستوى الدلالي"مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى

فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة"

ب- أهم النظريات الدلالية:

لم يكن تصور بنية الدلالة موحدا عند جميع الباحثين ،بل قد اختلفت وجهات نظرهم،مما أدى إلى نشوء العديد من النظريات يمكن إجمالها فيما يلي:

-1النظرية الإشارية:

تعد النظرية الأولى من حيث النشأة ؛ وإليها يرجع الفضل في تمييز أركان المعنى وعناصره،وهي تعتمد على النتائج التي توصل إليها فرديناند دي سوسير في أبحاثه اللسانية التي خص بها الإشارة اللغوية باعتبارها "الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول، الدال هو الإدراك النفساني للكلمة الصوتية والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترن بالدال" .

ويرجع الفضل في هذه النظرية إلى العالمين الإنجليزين أوجدن وريتشاردز اللذين اشتهرا بمثلثهما الذي يميز عناصر الدلالة بدءا بالفكرة أو المحتوى الذهني ثم الرمز أو الدال، وانتهاء إلى المشار إليه أو الشيء الخارجي.

وبمثلث هذين الباحثين دارت أغلب النظريات في فلكهما؛كون كل واحدة منها قد نزعت إلى ضلع أو ضلعين من أضلاعه .أوحتى الأضلاع الثلاثة برؤية أخرى استناداً على أن "معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها وهنا يوجد رأيان:

أ-رأي يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه.

ب-رأي يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه.

فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث وهما جانبا الرمز والمشار إليه. وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية"

وفي إطاره البحث عن الإشارة نشأت فكرة العلامة أو السمة، مما ساهم في ميلاد علم جديد هو علم العلامات أو ما يعرف بالسيميولوجيا

-2النظرية التصورية:

إن هذه النظرية تمثل مستوى آخر من مستويات الدراسة الدلالية، فإذا كانت النظرية الإشارية قد عكفت على دراسة الإشارة كأساس للولوج إلى دراسة ما يتعلق بها من عناصر المعنى، فإن النظرية التصورية ترتكز على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن،

تعود جذور هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي جون لوك(القرن السابع عشر) الذي سماها النظرية العقلية ونادى فيها بأن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار. والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص" .تعتبر النظرية التصورية "المعنى موضوعًا نفسيًّا، وأن بناء معاني التعابير اللغوية ليس إلا جزءًا من العمليات النفسية أو الذهنية التي تقوم عليها القدرة اللغوية الباطنية لدى المتكلم"

-3النظرية السلوكية:

إن التجديد الذي طبع النظرية التصورية أدى إلى نشأة اتجاه آخر في البحث الدلالي، يستبعد الأفكار المجردة، وتمثل في النظرية السلوكية، وقد خضع أصحاب هذه النظرية للمنحى العلمي الذي طغى على ساحة البحث وقتذاك. وهو منحى يرتكز على الملاحظة والمشاهدة، فقد ولى عهد العلوم التجريدية النظرية، وأعطت هذه النظرية السلوكية اهتماماً للجانب الممكن ملاحظته علانية وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور .

وتركز النظرية السلوكية على ما يمكن ملاحظته من اللغة؛ لذلك كان المعنى متساوقًا مع أسسها، ويجمله القول التالي: "يتألَّف من ملامح ورد الفعل القابلة للملاحظة، وأن معنى الصيغة اللغوية هو الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع""؛ أي إن معنى العبارة هو الحافز الذي يدعو إلى التلفظ بها، أو الاستجابة التي يستدعيها السامع، وبالتالي فالسلوكية تربط المعنى بالمواقف خارج اللغوية، الأمر يوضح موقفها المعارض للغة الداخلية، وقد قام شارلز موريس أحد رواد السلوكية باستبدال الاستجابة بالميل أو الرغبة، إلا أن الأمر لم يتغير بدعوى أن الميل والرغبة من الممكن أن يرتبطا بإرادة الشخص من عدمها.

4- النظرية السياقية:

يعتقد أصحاب هذه النظرية أن المعنى ينبغي أن يستخرج من سياق الكلام؛ولهذا يقول مارتيني: "خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى". كما يقول العالم وتغنشتين) - (Wittgenstein: "لا تفتش عن معنى الكلمة وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها" و يقول ستيفن أولمن: "السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها أساساً؛ التعبير عن العواطف والانفعالات" . وتبعاً لذلك فإن دلالة الكلمة تتعدد بتعدد السياقات وتنوعها أي تبعاً لتوزعها اللغوي وقد توصل العلماء إلى تمييز بين أربعة أنواع من السياق:.

1- السياق اللغوي.
2- السياق العاطفي الانفعالي.
3- سياق الموقف أو المقام.
4- السياق الثقافي أو الاجتماعي.

4-نظرية الحقول الدلالية:

يعرَّف "الحقل الدلالي Semantic Field أو الحقل المعجمي Lexical Field بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتُها، وتوضَع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية."

تعتبر هذه النظرية أن معنى الكلمة هو حصيلة علاقتها بباقي الكلمات التي تترابط معها دلاليًّا داخل الحقل الدلالي الواحد، وتتباين هذه العلاقات بين الترادف، والتباين، والتضاد، والتضمن.. إلخ.

"لعل أشمل التصنيفات التي قدِّمت حتى الآن وأكثرها منطقيةً التصنيف الذي اقترَحه معجمGreek New Testament ، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسة:

الموجوداتentities ، الأحداثevents ، المجرداتabstracts ،

العلاقات. relations وتحت كل قسمٍ نجد أقسامًا أصغرَ، ثم يُقسَّم كلُّ قسمٍ إلى أقسام فرعية.. وهكذا"

ج- مستويات الدراسة الدلالية

ويقصد بالمستويات جميع المواضيع المتعلقة بالدلالة؛ولهذا فـ:"إن المجال الذي يندرج في إطاره البحث الدلالي، يمكن حصره في دراسة طرفي الفعل الدلالي -الدال والمدلول -وما يتفرع عن ذلك من أبحاث تخصالدال من جهة والمدلول من جهة أخرى والعلاقة التي تجمع بينهما، وبناء على هذه الدراسة حدد موضوع علم الدلالة الذي يضم مباحث لغوية مختلفة ومتباينة لكنها مترابطة ومتكاملة، فبحث موضوع اللغة من جوانب مختلفة، كما تناول الدلاليون مسألة التطور الدلالي فدرسوا أشكاله وأسبابه، ونشأت عن مبحث علاقة الدال بالمدلول مواضيع أخرى كموضوع أنواع الدلالة وأقسامها ومبحث الحقول الدلالية وما توصل إليه اللغويون في هذا المجال من نظريات وآراء علمية، كما برز موضوع المجاز بمفهومه العام وعلاقته بالتعبير الدلالي"

وانطلاقا من هذا تكون محاور البحث الدلالي كالآتي:

1-اللغة:فاللغة كما عرفها بيرجيرو "نظام من الإشارات وهي تخدمنا في إيصال الأفكار واستدعاء صور مفاهيم الأشياء التي تكونت في أذهاننا إلى ذهن الآخرين."

ولهذا فالمطلوب تفكيك بنية هذا النظام بغية اكتشاف اللغة بصورة علمية والتعرف على القوانين التي تشرف على النظام اللغوي،ويكون هذا عن طريق تحليل النصوص بغرض ضبط المعاني.فمهمة اللساني ليست في الأخير "سوى استنباط الشبكة التصنيفية التي تقوم عليها الظاهرة اللغوية ممايتيح له استطلاع مقومات الانتظام الداخلي عبر اكتشاف النواميس المحددة لبنية اللغة والمحركة لوظيفتها في آن معاً""

2-الدال والمدلول:" اللغة هي مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكونة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضاً ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنها تشكل لا يستمد قيمته ولا دلالته من ذاته، وإنما يستمدهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى"

إذافـ" علم الدلالة، يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلو ل وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلا إذا تعرفنا على طبيعة كل من الدال والمدلول وخواصهما، وفي هذا الإطار فإن الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن

يحيلنا على الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة، وإنما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامةاللسانية، فالعلامات اللسانية حسب النموذج السوسيري تقتضي توفر ثلاثة

شروط:

أ-أن تكون العلامة اللسانية دالة على المعنى.

ب-أن تكون مستعملة في مجتمع لساني يفهمها.

ج-أن تنتمي إلى نظام من العلامات اللغوية."

3-الحقيقة والمجاز:" العلاقة التي تربط الدلالة الحقيقية بالدلالة المجازية، لا تخرج عن تلك الأنساق الدلالية العامة التي تربط الدال بمدلوله، فالبحث في دلالة المجاز هو بحث في معنى المعنى .إذ أن مدلولاً أولاً) وهو الدلالة الحقيقية (يقود إلى مدلول ثان) وهو الدلالة المجازية (والأنساق الدلالية التي حددها علماء الدلالة ثلاثة :دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام .ويمكن أن نلمس هذه الأصناف من الدلالات في المجاز بأنواعه. ويمكن التوسع في مباحث الحقيقة والمجاز في كتاب البلاغة العربية بحث في الأصول والامتدادات

وفي الأخير نقول:إن العمل التطبيقي للطلبة في الدراسة اللسانية في مستواها الدلالي لا يخرج في الغالب عن دراسة قضايا المجاز بأنواعه.